جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

دراسة في تركيب الصورة التشبيهية في الشعر العباسي

الدكتور

عبد المحسن مطلق علي الحربي

المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة في تركيب الصورة التشبيهية في الشعر العباسي

عبد المحسن مطلق علي الحربي

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Mohsen_Elharby@yahoo.com

الملخص :

توصل الباحث إلى أن تطوراً قد طرأ على الصورة التشبيهية في العصر العباسي؛ نتيجة لدوافع عصرية، أثَّرت على فكر مبدعها، وحفزته على الإبداع، وأن هذا العصر يظهر فيه بوضوح الأثر الثقافي في شعر شعرائه؛ فالوضع الاجتماعي وما تأثر به الشاعر من العلوم البلاغية والأدبية كان له أبلغ الأثر في تطور مكونات الصورة الفنية، من معانٍ، وألفاظٍ، وخيالٍ، وموسيقى، وهذا التطور بالمكونات أدَّى إلى تطور في تركيب الصورة التشبيهية، حيث إن شعراء العصر العباسي قد تأثَّروا بالثقافات الأجنبية، وأخذ الشاعر ينهل من معين هذه الثقافات فغذَّى فكره بالفلسفة والمنطق، وازداد حدة في المزاج، وارتقى عقله، واتسم شعره بالدقة في التصوير، والجودة في التحليل، والبراعة في التقسيم، والبعد في الخيال، والعمق في المعنى، فخرج بذلك التشبيه عن بساطته المعهودة وأطرافه الواضحة وأصبح نمطا فنيا واسعا نسج منه أصباغ عدة تمثلت بالحركة واللون والشكل واتسمت بالطرافة والغرابة والتفصيل ، وقد طور شعراء هذا العصر في تصويراتهم، وراعوا ما لم يراعه من قبلهم، وعمدوا في شعرهم نحو التفصيل في التشبيه، بتحليلهم المعنى إلى أجزاء، وتحويلهم الحس إلى خيال محكم الصورة، مثير اللون، ذكي الرائحة، وتوصل الباحث إلى أن ما اكتسبه الشاعر من الثقافات الأجنبية، من إطناب في الكتابة والكلام، هو ما دفعه إلى التفصيل في التشبيه، وذلك من أجل اكتشاف جمال جزيئات الشيء، وإبراز خفاياه. والله الموفِّق، والهادي إلى سواء السبيل .

الكلمات المفتاحية : تركيب الصورة ، الصورة التشبيهية ، الشعر العباسي ، دراسة بلاغية.

A study in the synthesis of the simile image in Abbasid poetry

Abdul Mohsen Absolute Ali Al-Harbi
Kingdom of Saudi Arabia
Email: Mohsen_Elharby@yahoo.com

Abstract :

The researcher concluded that there had been a development in the simile image during the Abbasid era. calendar For modern motives, they influenced the thought of their creator, and stimulated him to creativity, and that this era clearly shows the cultural impact in the poetry of his poets. The social situation and the rhetorical and literary sciences affected by the poet had the greatest impact on the development of the components of the artistic image, including meanings, words, imagination, and music, and this development of the components led to an evolution in the composition of the analogous image, as the poets of the Abbasid era were influenced by foreign cultures, And the poet began to draw from the specifics of these cultures, so he nourished his thought with philosophy and logic, increased intensity in mood, and elevated his mind, and his poetry was characterized by accuracy in photography, quality in analysis, dexterity in division, dimension in imagination, and depth in meaning, so the analogy departed from its usual simplicity and clear limbs. And it became a wide artistic style from which several dyes were woven, represented by movement, color, and shape, characterized by wit, strangeness, and detail. The picture, exciting color, clever smell, and the researcher concluded that what the poet had acquired from foreign cultures, from eloquence in writing and speech, is what prompted him to detail in the simile, in order to discover the beauty of the particles of a thing, and highlight Its subtleties. God bless and Pacific to the straight path.

Keywords : Image synthesis, simile image, Abbasid poetry, a rhetorical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعد التشبيه من أبرز الأساليب الأدبية في سائر اللغات، وهو كذلك فن جار في كلام العرب وقد تناولوه في أشعارهم، وبنوا عليه خطبهم وعنوا به كثيراً، وجعلوه أحد مقاييس البراعة الأدبية، حتى أصبح فنا من الفنون الكلامية، التي تشكل في البيان العربي عنصراً أساسيًّاً من عناصر الإبداع، فمن خلاله تتكامل الصور، وتتدافع المشاهد؛ لتظهر للمتلقي المعنى المراد. ومع تطور الحياة العربية وتداخلها مع مختلف حضارات الأمم الأخرى فإنه قد تبع ذلك التطور تطوراً في العمل الأدبي بجميع جوانبه، فاتسعت الذائقة النقدية، وأخذ مصطلح التشبيه ومفهومه أبعاداً مختلفة، من حيث ربط المصطلح بالدلالة، ومن حيث تحديد ماهية التشبيه، ووظيفته، وأقسامه، ومن أوائل البلاغيين والنقاد الذين تعمَّقوا في دراسة التشبيه: المبرد، في كتابه الكامل، والذي ذكر فيه أن الأشياء تتشابه في وجوه، وتختلف في وجوه، وأنه ينظر إلى التشبيه من حيث وقوعه.[١] ثم جاء بعده الرماني، ليكون أكثر توضيحا، وأقرب تحديداً بقوله:(هو العقد على أنَّ أحد الشيئين يسد مَسَدَّ الآخَرِ في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس).[٢] وهو بذلك يرى أن التشبيه يبنى على تصوير ما هو

(١) الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ج٢، ص٥٤.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٧٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

معقول، أو مجرد، وتجسيده لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي.وقد توالى علماء البلاغة على التشبيه، كل ينظر إليه من زاوية ويقسمه بتقسيمات مختلفة؛ لاعتبار من الاعتبارات المتعددة(١).والتي يتعلق بعضها بحضور أركان التشبيه، أو غيابها، وبعضها على طبيعة العلاقة بين الطرفين، من حيث الظهور أو الخفاء، والبعض الآخر يعتمد على الإفراد والتركيب والتعدد.(٢)وذلك ما سوف نعتمد عليه في هذا البحث وقد جعلته في ثلاثة مباحث.

(١) البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، الدكتورمصطفى الصاوي ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨٥م ، ص٨٤ .

(٢) دروس في البلاغة العربية ، الزناد الأزهر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م ، ص٢١.

المبحث الأول: التشبيه المفرد

التشبيه المفرد هو ما كان المشبه فيه مماثلاً للمشبه به في جانب من جوانبه، وكان التشبيه فيه مقصوراً على تشبيه صورة مفردة بصورة مفردة، من غير زيادة، ثم جاء وجه الشبه منتزَعاً من أمر واحد فقط، ومن ذلك ما نجده في قول ابن المعتز في وصف بستان يقول فيه[١]:

فِي رَوْضَةٍ كَحْلَةِ العَرُوْسِ وَخَدَمٍ كَهَامَةِ الطَّاووسِ
وَيَاسَمِيْنَ فِي ذُرَى الأَغْصَانِ مُنْتَظِمَاً كَقِطَعِ العِقْيَانِ
وَالسَّرْوُ مِثْلُ قِطَعِ الزَّبَرْجَدِ قَدْ اسْتَمَدَّ المَاءَ مِنْ تُرْبٍ نَدِي
وَجُلَّنَارٍ مِثْلُ جَمْرِ الخَدِّ أَوْ مِثْلُ أَعْرَافِ دُيُوْكِ الهِنْدِ

ففي هذه الأبيات قد شبه الشاعر الروضة بلباس العروس، الذي قد كساها حسنا وجمالا، ثم انتقل واصفا مرافق هذا البستان، فذكر بأن فيه خدماً، أجسامهم قد تميزت بالرشاقة والأناقة، وأن لهم رؤوس تشبه رؤوس الطواويس. وكذلك فقد شبه ما يحويه البستان من أشجار عطر الياسمين بالذهب الخالص، الذي تُحلَّى به أعناق الفتيات، ويشبه ابن المعتز السرو بقطع الزبرجد، وهو نوع من أنواع الأحجار الكريمة، التي كانت منتشرة في ذلك العهد، ثم نجده يشبه زهر الرمان والذي عبر عنه بلفظ الجلّنار ــ وهي لفظة فارسية الأصل ــ فجعل فيه من الحمرة جمراً للخد، يشبَّه به، ثم شبَّه به الجلّنار، وكأن حمرة الخد أشد من حمرة زهر الرمان وفي قوله :" أو مثل أعراف ديوك الهند" تشبيه بتشبيه، فهو بذلك مع أنه يساوي ما بين جمر الخد وبين أعراف ديوك الهند، والتي تتصف بالحمرة الشديدة، إلا أنه قد يكون ذلك من تأكيد التشبيه بمشبه به آخر، أو تأكيد

(١) ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محيي الدين الخياط ، مطبعة جريدة الإقبال ، بيروت ، ص٣٠٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعنى بتشبيه آخر، وفي هذه الأبيات نلاحظ بأن الشاعر قد استخرج من صبغ التشبيه ما يطرِّز به هذا الوصف البديع للرياض، وما يجري فيها من صور يغرق فيها البصر، كصفرة العسجدية، وخضرة الزبرجدية.

ولا غرابة فإنه قد كان ابن المعتز شاعراً متوقد الذهن، واسع الثقافة، خصب الخيال، قادراً على الجمع بين الأشباه والنظائر الجميلة، من النباتات والأزهار والأشجار التي يعددها في أشعاره، ويضعها في متشابهات يبني من خلالها صوره التشبيهية، والتي تدل على قدرته على التعبير وبراعته في التصوير الدقيق النادر.(١)

وقريب من ذلك ما جاء في قول علي ابن الجهم (٢):

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّه خُدُوْدٌ أُضِيْفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ

حيث قد شبه الورد بالخدود، وهذا مخالف للمعتاد، وهو أن يكون التشبيه بالورد، فكأن الخدود قد أصبحت أكثر حمرة من حمرة الورد. والقيد الذي وضعه الشاعر للخدود قد أضاف للصورة طرافة وجمالاً.

فقوله:" أضيفت بعضهن إلى بعض" يدل على أن هناك شيئاً زائد على ما هو معتاد، فلو قال:" بورد كأنه خدود"، واكتفى بذلك، لتمَّ التشبيه دون ميزة يختص بها عن غيره، لكنه بهذه الإضافة خرج بالصورة عما هو معروف ومتداول مبتذل إلى ما هو غريب طريف.

ويشير الدكتور أبو موسى في كتابه التصوير البياني معلِّقاً على هذا البيت إلى قول علي بن عبد العزيز صاحب كتاب الوساطة حول ذلك ذاكراً قوله:(ولم تزل العامة والخاصة تشبِّه الورد بالخدود، والخدود بالورد، نثراً ونظماً، وتقول فيه الشعر فتكثر، وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه، إلا أن يتناول زيادة

(١) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، الدكتور سعد شلبي ، دار الفكر العربي ، ص٢٧٥.
(٢) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بيك ، دار الآفاق ، بيروت ، ط٢ ، ص١٥٦ .

تضم إليه، أو معنى يشفع به،... ثم يذكر بيت ابن الجهم السابق ويقول بعده: فإضافة بعضهن إلى بعض له، وإن أخذ فمنه يؤخذ، وإليه ينسب)[١]. ولا غرابة فقد عرف عن ابن المعتز اهتمامه بالتشبيه والتجديد فيه، إذ كان يضفي عليه من خياله وأفكاره ما يظهر ملكة المبدع، وقدرته على التجديد، فالموهبة الإبداعية لا تقتصر على الكشف عن العلاقات الجديدة فحسب، وإنما تجدد في الصور المعروفة والمألوفة. وبلا شك فإن شعراء العصر العباسي ــ، وبفعل النهضة الحضارية الكبيرة في شتى المجالات، المعنوية منها والمادية ــ قد جددوا في كثير من الصور والمعاني والأخيلة، بل وتفوقوا فيها، على الرغم مما ذهب إليه الدارسون من أنَّ تجديد الفكر والثقافة هي العملية الأصعب في بناء الأطوار الحضارية وتلاحقها[٢]. وبما أنه لا يخفى ما قد نبغ فيه وافتن ابن المعتز، من وصف للسحاب والحدائق والبِرَك ، فإنه قد عرف بتفوقه كثيراً على من سبقوه أو عاصروه في وصفه للورد، حيث جاء به ــ وعلى غير ما هو معتاد ــ بشكل جديد من أشكال التشبيه، وهو جعْل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، فقدم صورة جديدة مبتكرة، شبه فيها الورد بالمعشوق، ومن ذلك ما نجده في قوله [٣]:

أَتَاكَ الوَرْدُ مَحْبُوْبَاً مَصُوْنَا كَمَعْشُوْقٍ تَكَنَّفَهُ الصُّدُوْدُ

ولا غرابة، فقد عرف عن ابن المعتز ذوقه الراقي، وحسه المرهف، واللذان استمدَّهما من بيئته وثقافته، اللتين غذَّتا ملكته الفنية؛ لكي لا يصور الأشياء إلا بأجمل تصوير، ولا يصفها إلا في آنق هيئة [٤]. وللرائحة العطرية حضورها ــ

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق: البجاوي وأبوالفضل ، ص١٨٧ ، وانظر : التصوير البياني ، الدكتور محمد محمد أبوموسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٧ ، ٢٠٠٩م ، ص٢١٥.
(٢) التصوير البياني ، مرجع سابق ، ص٢١٥.
(٣) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، مرجع سابق ، ص٣١٨.
(٤) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٨ ، ١٩٩٥م ، ص٧٧٤-٧٧٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كعنصر من عناصر الصورة التشبيهية ــ، والتي عمد إليها كثير من شعراء العصر العباسي، نتيجة تأثرهم بالمظاهر الحضارية التي كانت تشكل اهتماماً خاصا عند الكثير منهم، ومن ذلك مثلا ما جاء في قول ابن الرومي واصفاً (١):

كَأَنَّ نَسِيْمَهَا أَرْجُ الخُزَامَى وَلاهَا مِنْ بَعْدِ وَسْمَي وَلِي

حيث شبه النسيم بأرج الخزامى .

وحينما نقف عند قول ابن المعتز(٢):

رَعَى شَهْرَيْنِ بِالدِّيْرَيْنِ قِبَابَاً كَالطَّوَامِيْرِ
يُقَلِّبْنَ إِلَى الذُّعْرِ عُيُوْنَاً كَالقَوَارِيرِ
وَآذَانٌ سَمِيْعَاتٌ كَأَصْنَافِ الكَوَارِيْرِ

فإننا نجد أنه ومع ما شاع في عصره من اهتمام بمظاهر الترف العقلية والمادية فإنه قد عمد متأثرا في ذلك إلى تشبيه القباب بالطوامير، وهي كلمة أعجمية تعني الصحف، ثم أخذ يدقق التشبيه، ويصف العيون بالقوارير، والتي يقصد فيها الأواني الزجاجية اللامعة، فيما في البيت الذي يليه قد ذهب إلى تشبيه الآذان بالكوارير، وهي خلايا من النحل. ولا عجب، فهو وإن كان قد اصطبغت ثقافته بالصبغة العربية الصافية، إلا أنه كذلك قد تمثل لثقافات الأمم الأخرى، والتي كانت شائعة في عصره: كالفارسية، واليونانية، والهندية، ثم استوعب الكثير من العلوم المترجمة منها إلى العربية، حتى أصبحت تشكل نسيجا لفكره، والذي قدم من خلاله صورة حضارية لمجتمعه، ومن بين تلك العلوم إلمامه بعلم النجوم، والذي يظهر من خلال ما جاء في شعره من أوصاف للسماء والسحب

(١) ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج،ج٢،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٣، ٢٠٠٢م ، ص٥٢٧.

(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، مرجع سابق ، ص٣١٨.

والكواكب، وغيرها من مظاهر الطبيعة.[١]

ومن ذلك ما نجده في تشبيهاته الظريفة، والتي منها ما جاء في قوله في قمر آخر الشهر، وقد بدأت فيه علامات الزوال، ولم يعد فيه ما يدعو للجمال، حيث يقول [٢]:

فِي قَمَرٍ مُشْرِقٍ كَأَنَّهُ مَجْرَفَةُ العِطْرِ

وهو هنا قد شبه القمر بمجرفة العطر، وطبيعي أن نجد في شعره مثل هذه التشبيهات، التي تأثرت في بيئته، وما كان محط اهتمام العامة والخاصة، ولاسيما ما يخص المظاهر التي تدل على الترف كالعطور وغيرها.وبما أن التشبيه فن واسع من فنون الكلام يرتكز على المشاهدة والخيال في رسم صور دقيقة لكل ما يدركه الحس أو العقل أو الوجدان، لاعتبار أن هذا الفن هو أكثر فنون البيان دلالة على حياة الأمم، وحضارتها، وثقافتها، وتفكيرها[٣].فإنه قد ظهرت فيه طرق من التصوير، عُني فيها الشعراء بتجسيد الصورة وأخذ الشاعر يشبه ما هو معقول بما هو محسوس؛ وذلك لتقريب المعنى إلى فهم السامع وإدراكه، ومن ذلك مثلاً ما نجده في قول ابن المعتز [٤]:

وَرَأَيَاً كَمِرْآةِ الصَنَّاعِ أَرَى بِهِ سَرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَا سَعَى

(١) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص١٦٩.
(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣١٧.
(٣) التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ، محمد عبدالمنعم خفاجي ، المطبعة الفاروقية الحديثة ، مصر ، ط١، ١٩٤٨م ، ص٥.
(٤) – كتاب شعر ابن المعتز ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق: الدكتور يونس السامرائي ، دار الحرية ، بغداد ، ج١ ، ١٩٧٨م ، ص١٣٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهو هنا قد شبه الرأي بمرآة الصنّاع . ومنه أيضا ما نجده في قول أبي تمام مشبها الألفاظ بالجوهر المعدود [١]:

حُجَجٌ تُخْرِسُ الأَلَـدَّ بِأَلْفَـاظٍ فُـرَادَى كَـالجَوْهَرِ المَعْـدُوْدِ

وهو من باب تشبيه المحسوس بالمعقول، في وقت كان فيه أكثر تركيـزاً علـى إخراج تشبيهاته من محسوسات يستمدها من بيئته؛ ليصورمن خلالهـا مظـاهر الطبيعة بطريقة جمالية رائعة[٢].

وفي قول ابن المعتز [٣]:

وَاشْتَمَلَتْ عَلَى الثَّرَى كَالرِّيْق حَتَّى غَدَى فِي مَنْظَرٍ أَنِيْق

نجد أن الشاعر قد شبه الثرى بالريق، ثم فصل في ذلك بقوله:" حتى ظهـرت في منظر أنيق"، وهي كلمة من الكلمات الجديـدة، التـي تـدل علـى الجمـال، والمستمدة من آثار الحضارة، وتداخل الثقافات. وفي قول ابن الرومي يصف قالي زلابية [٤]:

رَأَيْتُهُ سَحَرَاً يَقْلِـي زَلابِيَـةً فِي رِقِّهِ القِشْرُ وَالتَّجْوِيفُ كَالقَصَبِ
كَأَنَّمَا زَيْتُهُ المَغْلِيُّ حِيْنَ بَـدَا كَالكِيمْيَاءِ التي قَالُوا وَلَـمْ تُصِـبِ
يُلْقِي العَجِيْنَ لُجَيْنَاً مِنْ أَنَامِلِهِ فَيَسْتَحِيْلُ شَـبَابِيْطَاً مِـنَ الـذَّهَبِ

نجد أنه يشبه رقة الزلابية برقة القشر وقالي الزلابية بالقصب، أي أنه واقـف

(١) التبريزي ، شرح ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبـده عـزام ، دار المعـارف ، ط٣ ، ١٩٧٢م ج١، ص٣٩٧ .
(٢) التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ، مرجع سابق ، ص١٧.
(٣) ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محمد بديع ، دار المعارف ، ج٢ ، ١٩٧٨م ، ص١٩٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص٣٥٣ . وكلمة : زلابية : كلمة معربة يقصد بها نوع من أنواع العجين المقلي بالسمن .

لقليها كوقوف القصب في مغرسه، ثم ينتقل ليشبه لون عجين الزلابية بلون الفضة، وذلك قبل أن يلقى في الزيت، والذي قد منحه الشاعر خاصية القدرة على تحويل الأشياء من حال إلى حال، كالكيمياء التي تحوِّل المعادن الخام إلى جواهر صالحة للاستخدام، ثم هو يشبهه بعد ذلك بالذهب حين يخرج منه، وقد تحول لونه إلى لون يشبه لونه، وشكلٍ يشبه شكل أسماك الشبوط ذات الجسم العريض والملمس اللين.(١) وتشبيه الشاعر هنا يوحي بجودة صناعة الزلابية، وعظيم لذتها، بل وشدة نهمه فيها، حيث قد عمد إلى الإيحاء أولا ثم صرح فيه في البيت الأخير، وما تدرج ابن الرومي في إقناع السامع إلا دليلا على ذلك.ولا يفوتنا أن نشير إلى الأثر العلمي الذي يبدو واضحا في شعره، وذلك من خلال تعبيره بالكيمياء، والذي قد أضاف إلى جمال الصورة جمالاً وحسناً، ومنح التشبيه نفاسة وروعة.(٢)

ومنه كذلك ما جاء في وصف العنب (٣):

وَرَازِقِي مُخَطَّفُ الخُصُوْرِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ البِلَّوْرِ
لَمْ يُبْقِ منْهُ وَهَجُ الحَرُوْرِ إلا ضِيَاءً فِي ظُرُوْفِ نُوْرِ

وهو هنا يشبِّه العنب في شكله الظاهر وقد بدت حباته ناضجة بشكل البلور، ثم أخذ يفصِّل في وصفه للعنب فجعل منه نور يمد بالضياء، وقد فصل ابن الرومي في تشبيهه للعنب الرازقي، حتى بلغ واصفا ذلك الجدول المسجور، والذي قال فيه(٤):

(١) ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره ، الدكتور محمد عبد القادر أشقر ، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي ، ط١، ٢٠٠٦م ، ص١٦٠.
(٢) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، الدكتور علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية ، مصر ، ١٩٩٦م ، ص١٤٩ .
(٣) ديوان ابن الرومي ، ج٣ ، ص٩٨٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص٩٨٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الحُبُوْرِ عَلَى حَفَافِي جَدْوَلٍ مَسْجُوْرِ
أَبْيَضَ مِثْلَ المهْرَقِ المنْشُوْرِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ المنْصَلِ المهْجُوْرِ

ومع ما برع فيه ابن الرومي من استقصاء وتعليل للصورة، فإنه كذلك قد كان متوازناً في تشبيهاته توازناً استمده من تأثير الثقافة ، التي كانت من أهم مظاهر الرقي في العصر العباسي، وقد أشار إلى ذلك إيليا الحاوي في ثنايا حديثه عن الأبيات السابقة، فقال:

(ولعلَّ ما نشهده في هذه القصيدة وفي قصائد أخرى من إسراف في بسط المعنى، وتعليله، وتدقيقه، ومن ميل لاستعمال أدوات التشبيه، كالكاف، ومثل، أو حروف العطف: كثم، والواو، وما إلى ذلك من أدوات تستطرد بالمعنى، وتوضحه، لعل ذلك جميعاً أفاده من أساليب علم الكلام الذي لم يكن يتصدى لقضية من قضايا الفقه إلا وأنهكها تفسيراً، أو تعليلاً وافتراضاً، كما كان ابن الرومي ينهك المعنى الواحد تشبيهاً، واستعارةً، وتفصيلاً، ففي الأبيات الثلاثة السابقة نشهد (ثم) العاطفة، و(مثل) التشبيهية تتكرران مرتين، بالإضافة إلى (أو) التفسيرية، وهي جميعاً حروف منطق وأدوات توضيح). (١)

ومن ذلك ما جاء في قول ابن المعتز (٢):

ثُمَّ حَدَا فِيْهَا الصَّبَا حَتَّى بَدَا لِي البَرْقُ كَأَمْثَالِ اللهَبِ

حيث شبَّه البرق بالشهاب في لونه ولمعانه واستطالة شكله، وهو بذلك ركز على الشكل واللون، وترك الحركة، والتي وصفها في بيت سابق لهذا البيت

(١) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ، ايليا سليم الحاوي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ص١٧ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص١٦ .

مجردة من اللون والشكل.[١]

ومن أجمل تشبيهات ابن المعتز تلك التي تدور حول ما هو مرئي فتستقصي وصفه، وترسم منظره في كل حالة هي له، ولعل القمر من أوفر مرئيات ابن المعتز، وأكثرها حضوراً في شعره،[٢] وقد قال فيه بعد أن بدا ساطعاً في نهر دجلة، وتراءى له ضاحكاً في النهر الذي يبدو متراقصاً ومصفِّقاً:

البَدْرُ يَضْحَكُ وَسْطَ دِجْلَةَ وَجْهُهُ وَالمَاءُ يَرْقُصُ حَوْلَنَا وَيُصَفِّقُ

فَكَأَنَّهُ فِيْهَا طِرَازُ مَذْهَبٍ وَكَأَنَّهَا فِيْهِ رِدَاءٌ أَزْرَقُ

وهنا نجد أنه يشبه البدر وهو ساطع في وسط نهر دجلة بالطراز المذهَّب، ثم يعكس التشبيه؛ ليجعل المشبه به مشبهاً، فيشبه دجلة وقد انعكس فظهرت صورته في القمر بالرداء الأزرق، وهذا من غريب التشبيه ونادره.

ولا غرابة، فقد عني ابن المعتز بتشبيهاته، وتلاعب في تصويره، حتى أصبح كأنَّه هدفاً يعمل الشاعر جهده فيه ليصل من خلاله إلى قمة الإبداع، وقد اتسمت تشبيهاته بتركيب الحركات في التشبيه، وطرافة المشبه به، والتفصيل، والاستقصاء، والإغراب في التشبيه، وقد فاق بذلك شعراء عصره، حتى لقد قال عنه صاحب معاهد التنصيص: هو أشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات[٣].

وفي قول البحتري واصفا قصر الساج [٤]:

وَكَأَنَّ قَصْرَ السَّاجِ خُلَّةُ عَاشِقٍ بَرَزَتْ لِوَامِقِهَا بِوَجْهٍ مُوْنِقِ

---

(١) التصوير البياني ، مرجع سابق ، ص١٩٧.

(٢) ابن المعتز والقمر ، عبدالعزيز سيد الأهل ، صحيفة دار العلوم ، مصر ، العددان الأول والثاني ، سنة ١٩٤٤م ، ص٥٣-٥٤.

(٣) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٤) ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ،١٩٦٤م ، ج٣، ص١٦٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نجد أنه يشبه قصر الساج بمعشوقة العاشق وقد ظهرت لعاشقها بمظهر حسن جميل.

ولا غرابة، فقد برع البحتري في وصف القصور، وحدائقها، وأنهارها، وأبراجها، وكل مرافقها، بل وألَّف بين تلك القصور؛ لتظهر جميلة أخاذة كجمال باقة من الزهر نديَّةً، أو روضة من النور زاهيةً، عامداً في ذلك شاعر الداريات ــ كما يحلو لناقديه ــ إلى المزج ما بين ريشة رسمه الماهرة، وملكته اللغوية البارعة، مستعيناً بما دقَّ في ذهنه من معنى لطيف، بلوره خياله الخصب إلى صورة تشبيهية رقيقة، قوامها اللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق(١).

وفي قول البحتري يصف قصراً قائلا فيه (٢):

وَكَأَنَّ حِيْطَانَ الزُّجَاجِ بِجَوِّهِ لُجَجٌ يَمُجْنَ عَلَى جَنُوْبَ سَوَاحِلِ

قد شبه الزجاج الذي يغطي أجزاء القصر باللجج، وهي الأمواج التي يلطم بعضها البعض على سواحل البحار، ويظهر في تشبيهه هذا قوة وفخامة الحياة العباسية التي عاشها الشاعر. وهو هنا قد وصف القصر وصفاً دقيقاً يدل على براعة فنية عالية، وذوقٍ مميزٍ يوحي بعقلية هندسية متمكِّنةٍ، قدمت لوحة ناصعة ترسم لنا ذلك القصر رسماً تفصيلياً، يوضح لنا ما يحويه من حيطان الزجاج، وتفويف الرخام، وسقوف الذهب(٣). وبلا شك فقد برع البحتري في وصفه لمظاهر الحضارة في عصره، وصفاً ركَّز فيه على القصور، وما يحيط بها من حدائق، وبرك، وجداول، وطيور، ومن ذلك ما جاء في قوله يصف بركة المتوكل، والتي عدَّها النقاد من معالم شعره. فيقول فيها (٤):

مَا بَالُ دِجْلَةَ كَالغَيْرَى تُنَافِسُهَا فِي الحُسْنِ طَوْرَاً وَأَطْوَارَاً تُبَاهِيْهَا

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص٧١٥.
(٢) ديوان البحتري ، تحقيق : الصيرفي ، ج٣ ، ص ١٦٤٩.
(٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص٧١٦.
(٤) ديوان البحتري ، تحقيق : الصيرفي ، ج٤ ، ص٢٤١٦ .

ونجد أنه هنا قد شبه البركة بالفتاة التي تنافس غيرها وتباهيه بالحسن والجمال.وهو تشبيه دقيق يدل على إمكانية عالية لدى الشاعر، وخيال واسع، فطريقة الشاعر في تركيب البيت وصياغته بأسلوب الاستفهام فيها نوع من الإبداع، حيث في ذلك تقرير للتشبيه سلك فيه مسلكاً دقيقاً.

وفي قول ابن المعتز [١]:

وَأَنْهَارُ مَاءٍ كالسَّلاسِلِ فُجِّرَتْ لِتُرْضِعَ أَوْلادَ الرَّيَاحِيْنِ وَالزَّهْرِ

نجد أنه قد شبه أنهار الماء بالسلاسل، ثم أخذ يعلل التشبيه، بقوله:" لترضع أولاد الرياحين" وهذا نوع من أنواع التشبيه المعلل الذي جعل للماء صفة تقتضي أن يسلسل، وقد سلكه الشعراء نتيجة تأثرهم بالمنطق وعلم الكلام، والحجة، وإبداء الرأي، وتعليل الفكرة، وغيره مما انتشر في ذلك العصر.

وفي قول البحتري [٢]:

والرَّقّةُ البَيْضَاءُ كَالخَوْدِ التي تَخْتَالُ بَيْنَ نَوَاعِمٍ أَقْرَانِ

مِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرٍ فَاقِعٍ فِي أَخْضَرٍ بَهْجٍ وَأَحْمَرَ قَانِ

نجد أنه يشبِّه الرقة البيضاء وهي مدينة معروفة، تقع على ضفاف نهر الفرات بالخود الحسان، ثم يستقصي الصورة مفصِّلاً حال المشبَّه به بقوله: بأنها تختال بين أقرانها الحسان، ثم يستقصي أكثر ويوضح أن أقرانها يتلوَّنون بألوان مختلفة، وكل واحدة لها بزهاء لونها جمالاً خاصاً مميزاً، فتارة نجده يقول:" أبيض يقق" وأخرى:" أصفر فاقع" ثم :" أخضر بهج، وأحمر قان" وفي توظيف اللون في الشعر العباسي دلالة على جمال طبيعة، وحضارة عالية، جمعت ما بين الرفاهة الماديَّة، والملكة العقلية، والذائقة النَّقديَّة.

---

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ١٩٦١م ، ص٢١٥ .

(٢) ديوان البحتري ، تحقيق : الصيرفي ، ج٤ ، ص٢٣٧٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: التشبيه المركب

التشبيه المركب هو التشبيه الذي يكون فيه طرفا التشبيه مركبين من شيئين أو أكثر، أو أن يقع التخييل في القول، والتشبيه والتمثيل فيه لشيئين بشيئين وذاتين بذاتين.(١)ومن ذلك ما نجده في قول ابن المعتز في وصفه لعناقيد الكروم قائلا فيها(٢):

كَأَنَّ عَنَاقِيْدَ الكُرُوْمِ وَظِلَّهَا كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ زَبَرْجَدِ

وهو في ذلك يشبه عناقيد الكروم وما لها من ظلال بالكواكب التي تدور في سماء الزبرجد، وهي صورة مركَّبة لشيئين يماثلان في شكليهما صورة الكواكب، وهي تدور في السماء ومن تحتها يظهر الزبرجد ــ والذي هو نوع من أنواع الأحجار الكريمة ــ، فلك أن تتخيَّل ذلك الجمال، وتستحضر تلك الدقَّةَ في التشبيه، والبراعة في التركيب. ولاسيما أنه في هذ العصر قد غلب على الشعر الصور الحسيَّة، التي تتسم بالحرفيَّة والشكلية، ومن شواهد ذلك ما جاء في قول ابن المعتز في وصف هلال يقول فيه(٣):

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُوْلَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ

حيث شبه القمر بزورق من فضة، قد بدا متثاقلاً من حمولته، وقد علق الدكتور شوقي ضيف على هذا البيت موضحاً بأنَّ ابن المعتز قد أضاف إلى الصورة البصرية التي نتخيَّلها في الزورق صورة أخرى عطرية.(٤)وفي ذلك

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، ج٢، ١٩٨٦م ، ص٢٠٢ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣١٣ .

(٤) الشعر والشعراء في العصرالعباسي ، مرجع سابق ، ص٧٨٠. (وانظر كذلك الفن ومذاهبه، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،ط١٠ ، ١٩٦٠م ، ص٢٦٩) .

إشارة إلى أن ابن المعتز الشاعر الفذ قد كان وصَّافاً بارعاً يعتمد في بناء صوره الشعرية على التشبيهات التي تدور حول ما يراه، وقد كانت له أوصاف كثيرة، ومتنوعة بتنوع الحال، والهيئة في القمر، والذي كان من أوفرها حضوراً في شعره، حيث ركز فيه تشبيهاته، مستقصياً في وصفه وتصويره، وراسماً له بصوت الكلمة رسماً يطبع في خيال المتلقي أو ذهنه صورة ما عبَّر عنه الشاعر، في حال لا يراه فيها، وكأنَّه يراه ويتأمَّله حقيقةً، ثم يستقصي اتجاهاته، وأشكاله، وهيئاته، مشبِّها بها ولها، في إجادة تنم عن ذوق عالٍ، ومزاج لطيف، وثقافة واسعة [١].

وفي وصفه له أيضا قائلا[٢]:

أُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هِلالٍ بَدَا يَهْتِكُ مِنْ أَنْوَارِهِ الحَنْدَسَا
كَمِنْجَلٍ قَدْ صِيْغَ مِنْ فِضَّةٍ يَحْصِدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى نَرْجِسَا

نجد أنه يشبه الهلال بالمنجل، وهو آلة لقطع الأشجار، وليس كأي منجل، بل هو منجل مصنوع من الفضة، وهو تشبيه للهلال بالفضة، من حيث اللون، والشكل، وكذلك الحركة إذ إن حركة الهلال في السماء تشبه حركة ذلك المنجل، حين يحصد من زهر النرجس في ظلام الليل الدامس، وقد جعل بذلك السماء حقلاً يزخر بالنرجس، لا بالنجوم، والمنجل يحصد النرجس منها بأضوائه وأنواره.وهو تشبيه مركب، مترف الصورة، رسم لنا لوحة فنية رائعة غنية بمظاهر الحياة.وقد استطاع الشاعر من خلال ذلك أن يبني صوره التشبيهية على الخيال، بعد أن حلل هذا الصبغ الفني الجميل، وأخذ يعقده، ويستخرج منه أشكالاً توهم المتلقي، وتنقله من الإحساس إلى الخيال.وهذا النوع من التشبيه هو من وَضَعَ ابن المعتز في

(١) ابن المعتز والقمر ، مرجع سابق ، ص٥٣-٥٤.
(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣٢٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موضعه المرموق من الشهرة.(١)

ويتضح لنا مما سبق أنَّ الشاعر في هذا العصر قد طوَّر في تصويره، وراعى ما لم يراعه من قبله، بل وقد عمد في شعره نحو التفصيل في التشبيه، بتحليله المعنى إلى أجزاء، وتحويله الحس إلى خيال محكم الصورة، مثير اللون، ذكي الرائحة .

ولا غرابة، فإن ما اكتسبه الشاعر العباسي من الثقافات الأجنبية، من إطناب في الكتابة والكلام هو ما دفعه إلى التفصيل في التشبيه، وذلك من أجل اكتشاف جمال جزيئات الشيء، وإبراز خفاياه .

ومن التشبيه المركب قول ابن المعتز في وصفه لليمون يقول فيه(٢):

كَأَنَّمَـــا الليْمُـــوْنُ لَمَّـــا بَـــدَا لِلْعَيْنِ فِـــي أَوْرَاقِـــهِ الخُضْـــرِ
مَدَاهِنُ مِـــنْ ذَهَـــبٍ أَطْبَقَـــتْ عَلَى زَكِـــيِّ المِسْـــكِ وَالخَمْـــرِ

وهنا يشبه الشاعر صورة الليمون ــ حين يراه الرائي وهو في أوراقه الخضر ــ بصورة مداهن من الذهب، وقد برع ابن المعتز في تجديده للتشبيه حيث اعتمد على أشياء لم تكن في السابق من أولويات المبدع، فقد وظَّف اللون، والرائحة، والطعم، والشكل في تشبيهاته، وربطها مع بعضها البعض؛ لتكون أقرب إلى السامع، وأكثر وضوحاً ولاسيما أن ما يُشَبَّه به هو مما كان منتشرا في زمانه، ومحط اهتمام الجميع آنذاك؛ لأنه يمثل حضارة جيل، وثقافة مجتمع .ومن التشبيه تشبيه صورة بصورة تشبيهاً مركباً ومن ذلك ما جاء في وصف ابن المعتز لبركة يقول فيها (٣):

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص٧٧٩ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣١٥ .
(٣) ديوان ابن المعتز، دار صادر ، ص ١٣٥.

كَـــأَنَّ البِرْكَـــةَ الغَنّـــاءَ لَمَّـــا غَـــدَتْ بِالمَـــاءِ مُفْعَمَـــةً تَمُـــوْجُ

وَقَدْ لاحَ الدُّجَى مِـــرْآةُ قَـــيْنٍ قَدْ انْصَقَلَتْ وَمِقْبَضُـــهَا الخَلِـــيْجُ

وهو هنا يشبه صورة البركة الممتلئة بالماء، وقد بـــدأت الشـــمس بالمغيـــب بصورة مرآة الجارية التي تهتم بجمالها، وقد تكرر لمعانها بين الفينة والأخـــرى، حين تزل بها يدها عن غير قصد.

وحينما نقف عند قول ابن المعتز يصف زهر البنفسج قائلا [١]:

وَلازُوْرْدِيَّـــةٌ تَزْهُـــو بِزُرْقَتِهَـــا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلى حُمْرِ اليَوَاقِيْتِ

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَـــاتٍ ضَـــعُفْنَ بِهَـــا أَوَائِلَ النَّارِ في أَطْرَافِ كِبْرِيْـــتِ

نجد أنه قد خرج عن تشبيهه زهر اللازوردية بزهر مثله، أو بنبات آخر شبيه به إلى تشبيهه بزرقة لهب نار في بداية اشتعاله في طرف الكبريت، وقد أبدع في ذلك وبلغ غاية في التصوير الدقيق الغريب النادر، وقد علَّق الأستاذ محمد عبـــد المنعم خفاجي على ذلك بقوله: (فالبنفسج زهر غض يرف، تبصر فيـــه زرقـــة أوراقه، وحمرة ساقه، يشبهه ابن المعتز لا بزهر مثله، ولا بنبات آخر شبيه به، ولكن يشبهه بلهب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ له منه مثالاً، ثم لم يكتفِ بذلك بل دقَّ في التصوير، ونظر نظرة خاصية غريبة، فشبهه بزرقة النار أول ما تشتعل في الكبريت، فبلغ غاية التصوير، وملك زمام الإجادة)[٢].

---

(١) شعر ابن المعتز ، الصولي ، تحقيق : الســـامرائي ، ج٢ ، ص٥٢٧ . وقـــد وردت هـــذه الأبيات منسوبة لابن الرومي برواية أخرى في ديوانه الجزء الأول ص٣٩٤ يقول فيها :

وَلازُوْرْدِيَّةٌ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَ وَسْطَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ اليَوَاقِيْت

كَأَنَّهَا وَضِعَافُ القُضْبِ تَحْمِلُهَ أَوَائِلَ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيْت

(٢) التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ، مرجع سابق ، ص١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا غرابة فقد امتاز ابن المعتز بدقة تصويره، بل تفوَّق في ذلك على كثير من الشعراء، حيث كان يوضح الشبه بين الشيئين مهما كان بينهما من اختلاف في الجنس، أو تباعدٍ في العلاقة، فكان يجمع بينهما جمعاً لطيفاً يدل على فطنة، وصفاء فكر مبدعه.وقد عُرف عن ابن المعتز قدرته على تقدير الأشياء، ومن ثَمَّ تشبيه بعضها ببعض، وذلك لنضج عقله، وإحساسه المرهف الرقيق، وثقافته الواسعة، وحياته المترفة، وإلمامه بمظاهر الحضارة ، ويوضح الجرجاني رأيه في أبيات ابن المعتز السابقة قائلاً: بأنها أكثر غرابة، وأجدر بإعجاب المتلقي من تشبيه النرجس بـ:(مداهن درّ حشوهن عقيق).[١]ويعلل ذلك بقوله: (لأنه أراك شبهاً لنبات غض يرف، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف، بلهب نار في جسم مستول عليه اليبس، وباد فيه الكلف).[٢]

وبلا شك فإنه وإن كان قد غلبت على تصويراته المحسوسات، إلا أن لديه من تصويره ما جنح فيه إلى المعنويَّات، وقد عدّ ذلك بعض النقاد من فلتات اللسان، ومنه ما جاء في قوله واصفا نرجساً يقول فيه [٣]:

وَعُدْنَا إِلَى الرَّوْضِ الذي ظِلُّه النَّدَى وَلِلصُّبْحِ فِي ثَوْبِ الظَّلامِ حَرِيْقُ
كَأَنَّ عُيُوْنَ النَّرْجِسِ الغَضِّ بَيْنَهُ مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوُهُنَّ عَقِيْقُ
إِذَا بَلَّهُنَّ القَطْرُ خِلْتَ دُمُوْعَهَا بُكَاءَ جُفُوْنٍ كُحْلُهُنَّ خَلُوْقُ

وهو تشبيه مفصل، يتركب من شيئين وأكثر، ووجه الشبه بينهما حاصل ما يقدر على وجه مخصوص، وبشرط معلوم، فهو في هذا البيت يشبِّه النرجس بشكل المداهن التي هي من در، وهو شرط لازم؛ لوضوح علاقة المشبَّه بالمشبَّه به بشكل دقيق، لا يحتمل التأويل، وكذلك يشبهه بالعقيق الذي يكون في الحشو

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص١٣٠.
(٢) المرجع السابق ، ص١٣١.
(٣) ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محمد بديع ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص١٩٤ .

منها، والصورة التشبيهية هنا جاءت مركبة لا ينبني جزء لاحق منها دون سابق، بل ألفاظها لازمة ملزمة، فالنرجسة في شكلها تشبه في خيال المبدع أو الشاعر شكل المدهن ــ الذي هو مكون من الدر والعقيق مجتمعين معاً ــ، وبشرط أن يكون العقيق في حشو المداهن ،كل ذلك لازم في تكوين الصورة للنرجسة، أي: الشكل الحاصل من مجموع الشكلين معاً، ولو اختل جزء منه لضعف التشبيه، أو خرج إلى غير ما هو له، وتتضح في ذلك الحالة النفسية للشاعر، والتي توحي بالسعادة، وهدوء البال، فالروض، والندى، والصباح، وعيون النرجس الغض، ومداهن الدر، والعقيق، والخلوق، جميعها مما يبعث السرور في النفس(١).

ولا غرابة، فهو شاعر متمكِّنٌ، استطاع أن يستخرج من اللون الواحد في التشبيه عدة ألوان، كأنها ألوان الطيف، ومن الصبغ الواحد فيه عدة أصباغ، وكأنه رسام قد تلاعب بألوانه؛ ليقدم لنا أجمل المناظر وأروع الصور(٢).وبما أن للتشبيه دوره الفاعل في التعبير الشعري والإفصاح بطريقة فنية عما يدور في نفس الشاعر ــ وذلك بالاعتماد على التصوير الحسي ــ فإنه قد كان ابن المعتز يؤمن بأهميته، وقيمته الفنية، فعُني به، وجعله الوسيلة الأولى التي يصور فيها خياله، ويعبر بها عن ذاته، وعن بيئته، وحضارة عصره، حتى لقد قال عن نفسه:(إذا قلت: كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فمي).

وقد تفنن ابن المعتز بإبراز الصور الحسية والمعنوية في شعره عن طريق التشبيه، واستقصاء معانيه من خلاله.(٣) ففي قوله واصفاً الآذريون يقول فيه(٤):

---

(١) أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص١٦٩. وانظر :"ابن المعتز صورة لعصره" ، مرجع سابق ، ص٣١٥-٣١٦ .

(٢) ابن المعتز صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص٢٧٥ .

(٣) الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز ، الدكتور حمدان عطية الزهراني ، مجلة جامعة الإمام ، العدد٣٧ ، سنة ١٤٢٣هـ ، ص٣٨٢-٣٨٣ .

(٤) شعر ابن المعتز ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٩٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

وَحَمْلُ آذْرِيونَةٍ فَوْقَ أُذْنِهِ   كَكَأْسِ عَقِيْقٍ فِي قَرَارَتِهَا مِسْكُ

نجد أنه قد استقصى الصورة في تشبيهه هذا، حيث شبَّه الآذريون ــ وهو ورد له أوراق حمر وفي وسطه سواد ــ بالكأس المصنوع من الذهب، والذي قد حفظ فيه طيب مسك، وبقي منه شيء في أسفل جوفه.وقريب من ذلك ما نجده في قوله أيضا (١):

مَــدَاهِنُ مِــنْ ذَهَــبٍ   فِيْهَــا بَقَايَــا غَالِيَــةْ

حيث في ذلك استقصاء غريب للصورة، يظهر أكثر دقة، فقد شبَّه المدَاهن ــ التي هي من ذهب ــ ببقايا العطر المركب من المسك والعنبر والعـود وغيـره، والذي يميل لونه إلى السواد، وقد علَّق الجرجاني على هذين البيتين مفضِّلاً البيت الثاني على الأوَّل في استقصائه للتشبيه وطريقة استحضاره للصـورة، فقـال:(الأول ينقص عن الثاني شيئاً، وذلك أن السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بإزاء الغالية والمسك فيه أمران، أحدهما: أنه ليس بشامل لها، والثاني: أن هـذا السواد ليس صورته صورة الدرهم في قعرها، أعني أنه لم يستدر هناك، بل ارتفع من قعر الدائرة حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات، وله في منقطعه هيئـة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن، إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع. وقولـه: (في قرارتها مسك) يبين الأمر الأول، ويؤمن من دخول النقص عليه، كما كـان يدخل لو قال:(ككأس عقيق فيها مسك)، ولم يشترط أن يكون فـي القرارة.وأمـا الثاني من الأمرين، فلا يدل عليه كما يدل قوله: (بقايا غاليه)، وذاك من شـأن المسك، والشيء اليابس إذا حصل في شيء مستدير له قعـر، أن يسـتدير فـي القعر، ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي تراه في سواد الآذريونة.وأما الغالية فهي رطبة، ثم هي تؤخذ بالأصابع، وإذا كان كذلك، فلابد في البقية منها مـن أن تكون قد ارتفعت عن القرارة، وحصلت بصفة شبيهة بـذلك السـواد، ثـم هـي

---

(١) شعر ابن المعتز ، مرجع سابق ، ج١، ص٣٧٣ .

لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذي لا جرم لـــه يملـــك المكـــان، وذلـــك أصـــدق للشبه)[١].

ومن النادر الطريف ما جاء في قول ابن المعتز [٢]:

كَأَنَّا وَضَـــوْءَ الصُّـــبْحِ يَسْـــتَعْجِلُ نَطِيْرُ غُرَابَاً ذَا قَـــوَادِمِ جُـــوْنِ

حيث شبَّه صورة الصبح بصورة الغراب ذو القوادم البيض، وقد أفزع، ليطيـــر محلِّقا باندفاع مهول، يدل على تأثره بقوى خارجية، أرغمتـــه أن يتحـــرك بغيـــر إرادته، ففي ذلك استقصاء غريب، طريف، يوضح جوانـــب بعيـــدة فـــي تكـــوين الصورة في خيال مبدعها. ويعلق شيخ البلاغيين على هذا البيت معتبراً لـــه مـــن أبلغ وأعجب ما قيل في استقصاء الصورة، وأتم وأدق في تكوين التشبيه فيقول: (وتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر، وهـــو أن جعـــل ضـــوء الصبح؛ لقوة ظهوره، ودفعه لظلام الليل، كأنه يحفـــز الـــدجى، ويســـتعجلها، ولا يرضى منها، بأن تتمهل في حركتها، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره في التشبيه آخراً فقال:(نطير غراباً) ولم يقل (غراب يطير) مثلاً، وذلك أنَّ الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان فأزعج، وأخيف وأطير منه، أو كان قد حبس فـــي يـــد أو قفص فأرسل، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه، وأعجل وأمد له، وأبعد لأمده، فإن تلك الفزعة التي تعرض له من تنفيره أو الفرحة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته، ربما دعته إلى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق، ويصـــير إلـــى حيث لا تراه العيون، وليس كذلك إذا طار عن اختيار؛ لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمضي على هينتـــه ويتحرك حركة غير المستعجل)[٣]. ولا غرابة أن نجد مثل هذه التشبيهات النادرة

(١) أسرار البلاغة ، الجرجاني ، ص١٧٦-١٧٧.
(٢) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٣٠١ .
(٣) أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص١٧٧-١٧٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الدقيقة التي تنبثق دقتها من مدى قدرة مبدعها على الربط بين الأشياء الدقيقة، من حيث التوظيف، وطريقة التركيب، بالاعتماد على الهيئات، والحركات، والأشكال، والألوان وغيرها.

وحينما نقف عند تشبيهات ابن الرومي، فإننا نجد أنه قد كان لتأثره الفلسفي والمنطقي ومعرفته بعلم الكلام والجدل والحجاج أثراً في أبياته، من حيث تفصيل المعنى، واستقصاءه، ولا غرابة، فقد كان الإطناب يمثل بلاغة في أدب اليونان، والذي هو من الفنون الوافدة إلى شعراء وأدباء هذا العصر، وقلة ظهور التفصيل قبل هذا العهد عند الشعراء، ليس لقصور في اللغة، بل لما كان يعد في اللغة من أن البلاغة في الإيجاز، فكان وجوده فيها ضئيلاً لا يكاد يذكر بشكله الذي ظهر فيه في العصر العباسي، وقد كان ابن الرومي مهتمًّا بذلك لتوضيح معانيه، حتى أنه قد كان يعتصر معانيه اعتصاراً شديداً، لا يبقي فيها مجالا لمن يطرقها بعده بالزيادة فيها.(١) ومن استقصائه للصورة قوله يصف خبازا يقول فيه (٢):

مَا أَنْسَى لا أَنْسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ ... يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشْكَ اللمْحِ بِالبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً ... وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَالقَمَرِ
إِلا بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ ... فِي لُجَّةِ المَاءِ يُلْقَى فِيْهِ بِالحَجَرِ

حيث صوَّر سرعة الخباز ــ وهو يدحو الرقاقة، فتكبر في يده ــ بسرعة تشبه سرعة اللمح بالبصر، وصورة الرقاقة ــ بعد تحولُها من كرة في كف صانعها إلى دائرة قوراء تشبه شكل القمر ــ بصورة سرعة وشكل دوائر الماء التي تتشكل فيه حين يلقى فيه الحجر.

(١) ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره ، الدكتور محمد عبد القادر أشقر ، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي ، ط١، ٢٠٠٦م ، ص١٣٦.
(٢) ديوان ابن الرومي ، ج٢ ، ص١١١٠ .

وقد ذهب ابن الرومي في ذلك مذهباً تفصيلياً في استقصائه للصورة، ولا غرابة، فقد عرف عنه الحدة في المزاج، والدقة في الملاحظة، واللتان قد يكون اكتسبهما من أصوله اليونانية، الميالة إلى الإطناب(١). وفي وصفه لأحدب يقول فيه (٢):

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ وَطَالَ قَذَالُهُ فَكَأَنَّه مُتَرَبِّصٌ أَنْ يُصْفَعَا

وَكَأَنَّمَا صُفِعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً وَأَحَسَّ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا

نجد أنه قد شبَّه الأحدب بالمتربِّص للصفْعِ، وكأنه بعد أن صفعت قفاه أحس بصفعة أخرى، ثم تجمع على نفسه؛ خوفاً منها، وقد كان دقيقاً في وصفه لشكل وحركة ذلك الرجل، وهو يتهيأ لأن يصفع، ثم يتجمع خوف صفعة تحل به بعد صفعة سابقة لها، كانت قد غيرت من هيأته، وشكله، وقد أبدع الشاعر في هذا التصوير، وأحكم صورته .

وقد كان للبيئة العلمية التي عاش فيها ابن المعتز أثرها الواضح في تشبيهاته، فما كان هاجسا لعلماء عصره شكل جانباً هاماً من جوانب حياته، فالكتابة والأقلام وما صحبهما من تأليف وترجمة كان كل ذلك مغذيًّا لابن المعتز في بناء صوره، وتأليف تشبيهاته، ومن ذلك ما نجده في تشبيهه للوشي الذي يتحلَّى به البازي، والذي يقول فيه (٣):

كَأَنَّمَا الوَشْي الذي اكْتَسَى بِهِ شَكْلٌ خَلا القِرْطَاسِ مِنْ كُتَّابِهِ

(١) ابن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٦٨م ، ص٢٤٥.

(٢) ديوان ابن الرومي ، ج٣ ، ص٤٧٣ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٢٩٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حيث هو هنا قد شبه الوشي الذي يزين البازي بشكل القرطاس الذي قد رُسمت فيه حركات التشكيل، وهو خال من الكتابة. وهو بلا شك تأثر واضح لابن المعتز بالبيئة العلمية التي عاش فيها.

وفي قول ابن المعتز في وصف ليلة مقمرة [١]:

هَلْ لَك فِي لَيْلَةٍ بَيْضَاءَ مُقْمِرَةٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ ذَابَتْ عَلَى البَلَدِ

نجد أنه في هذا البيت من الروعة وحسن التشبيه ما لا يستغرب على شاعر برع في تصويره، ونشأ نشأة حضارية، وفكرية عالية المستوى، حيث قد شبَّه الليلة المقمرة بالفضة التي قد سالت، وغطت الأرض بجمال لونها، وبريق لمعانها. وفي ذلك دلالة على كثرت الفضة وتوفرها في العصر العباسي ولا غرابة فهو على درجة عالية من الخيال العجيب الذي يقف به على صور غريبة، فائقة الجمال، فلك أن تتخيل تلك المدينة الكبيرة، التي قد صب عليها كميات غزيرة من الفضة المذابة، إنها رؤية ثاقبة، نبغ بها خيال الشاعر، عندما رأى ضوء القمر يغطي كل جزء من أجزاء هذا البلد، فوصفها ذلك الوصف، ورمز لسعادته بذلك البياض الذي يغري بالسهر، والأنس، والشاعر هنا قد استثار المتلقي بأسلوب الاستفهام؛ ليتفاعل معه من خلال وصفه، وكأنه قد شاهد معه صورة هذه الليلة البيضاء، وهو تركيب طريف ينم عن قدرة تصويرية عالية، وذوق رفيع،وخيال واسع [٢].

وبما أنه قد كان العصر العباسي يمثل عهداً تمازجت فيه الثقافات، واتصلت فيه الأمم وتداخلت فيه الأعراق، فإنه كان من الطبيعي أن نجد في شعر شعرائه شيئاً من المفردات الأعجمية، التي ليست بالقليلة، ومن ذلك ما نجده مثلاً في قول ابن

(١) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٩٦ .

(٢) الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز ، الدكتور حمدان عطية الزهراني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٣هـ ، العدد٣٧ ، ص٤٠١ .

المعتز في وصف النيروز

وقد قال [١]:

كَيْفَ ابْتِهَاجُكَ بِالنَّيْرُوْزِ يَا أَمَلِي فَكُلُّ مَا فِيْهِ يَحْكِيْنِي وَأَحْكِيْهِ

نِيْرَانُهُ كَاضْطِرَامِ النَّارِ فِي كَبِدِي وَدَمْعَتِي كَتَوَالِي مَائِهِ فِيْـــهِ

وهو هنا نجد أنه يشبه النور الذي يظهر من النيروز بالنار التي تلتهب في كبده، وهو من باب تشبيه ما هو محسوس بما هو معقول، أي: معنوي، فالنـــار التي تلتهب في كبده هي من الخيال؛ لشدة تألمه، وليست ناراً حقيقية، ثم يتحـــول ليشبه دمعته هو بتوالي الماء في النيروز، ومن الغريب النادر أن يجعل المشـــبَّه مرة مشبَّهاً به، ثم يعكس ذلك ليصبح المشبه به مشبهاً، وهذا ما يسمى بتعاقـــب التشبيه. ويتضح مما سبق أنه قد كان الشاعر في هذا القرن يظهر الأثر الفلسفي في معانيه بدقة، تجعله يستوفي التفريعات العقلية التي يمكن أن تتولد من المعنى الواحد[٢].وأن في شعره معان كثيرة، جاءت غنية وعميقة، توحي بتمكنـــه مـــن ناصية الفلسفة والمنطق في عصره بشكل مقبول، لم يسمح فيه للفلسفة أن تطغى على شعره، بل كان متوازناً وملتزماً بتقديم فلسفته من خلال فنه.[٣]

(وقد حمل البلاغيون ما جاء من تشبيه المحسوس بالمعقول على المبالغة بتقدير المعقول محسوساً حتى صار أصلاً في وجه الشبه؛ لتستقيم لهم القاعدة، وهي إخراج الأغمض إلى الأوضح، وما ليس له قوة في الصفة إلى ما له قوة).[٤]

---

(١) شعر ابن المعتز ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٦٥٤ .

(٢) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص٢٧٠.

(٣) ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصـــية فـــي شـــعره ، مرجـــع ســـابق ، ص١٣١.

(٤) الصورة البلاغية في شعر أبي تمام ، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان ، مجلة جامعة الإمام ، العدد الأول ، ١٤٠٩هـــ ، ص٢٤٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن التشبيهات المركبة ما نجده حين نقف عند قول ابن المعتز:

حُفَّتْ بِسَرْوٍ كَالقِيَانِ وَلُحِّفَتْ خُضْرَ الحَرِيْرِ عَلَى قِوَامٍ مُعْتَدِلْ

فَكَأَنَّهَا وَالرِّيْحَ حِيْنَ تُمِيْلُهَا تَبْغِي التَّعَانُقَ ثُمَّ يَمْنَعُهَا الخَجَلْ

حيث شبه صورة حركة شجر السرو والريح تميلها بصورة حركة العاشقان حين يهمان بالعناق، ثم يمنعهما الخوف، والخجل، ويحلل عبد القاهر الجرجاني حركة الدنو للعناق في هذه الأبيات تحليلاً نفسيًّا دقيقاً، يرى من خلاله أنَّ ثمة عوامل تقيِّد حركة الدنو للعناق ودوافعه، وتحدث فيه نوعاً من التردد، والحذر، مما يجعلها بطيئة، ويقرن ذلك بحركة السرو؛ لأن حركة تمايلها حركة بطيئة، وكذلك حركة الرجوع بدافع الخجل، يشبه حركة رجوع السرو إلى وضعه المعتاد، ووجه الشبه بينهما السرعة البالغة، وهذا التشبيه من التشبيهات المركَّبة، حيث اعتمد الشاعر على أكثر من شيء في تكوين الصورة، وقد فصَّل فيه تفصيلاً ظريفاً راعى فيه حركة التهيؤ للدنو والعناق، وحركة الرجوع ، والشاعر هنا أبرز المعنى بطريقة رائعة، جمع فيها بين إحساسه، وألفاظه؛ لتصل الصورة كاملة إلى ذهن المتلقي [١].

وفي قول البحتري في وصف البركة أيضا [٢]:

كَأَنَّمَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ سَائِلَةٌ مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيْهَا

نجده يشبه الماء الذي يجري في مجاري البركة بعد أن هدأ من اندفاعه في صبه فأصبح هادئاً لامعاً يشبه في لمعانه لمعان الفضة السائلة التي صهرت ثم صبت مع مجاري هذه البركة الساحرة، وقد جمع في تشبيهه هذا ما بين لون الماء وحركته. وقد كان تركيز البحتري في وصفه للبركة منصبًّا على وصفها في

(١) التصوير البياني ، مرجع سابق ، ص١١٩-١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤١٦ .

حال الحركة، والذي يعده البلاغيون من بديع التشبيه ونادره؛ لأن فيه إشارة إلى قدرة إبداعية عالية، تعتمد على دقة الملاحظة. وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة قائلا:(واعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات). أما أبو تمام الشاعر الفذ فقد كانت لديه ملكة تصويرية عالية الجودة، وبالغة الدقة، وقد كان مرهف الإحساس، وجياش الشعور، مغرماً بوصف الطبيعة يقول فيها [١]:

تَرَيَا نَهَارَاً مُشْمِسَاً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

وهو هنا قد شبَّه النهار المشمس الذي قد شابه زهر الربا بالليل المقمر، وفي قوله:" مقمر" صور الأرض التي كستها الخضرة وامتزجت خضرتها بخيوط الشمس الفضية اللامعة، فشكل هذا التشابك بين الشعاع المتوهِّج وبين الخضرة صورة توحي بأنها ليل مقمر.ويشير الدكتور محمد أبو موسى إلى قول الصولي، والذي ذكر فيه بأنه سأل أبا مالك عن هذا البيت، فقال له بأنه: يعني أن الزهر من كثرته وتكاثفه وخضرته التي قد صارت إلى السواد قد نقصت من ضوء الشمس، حتى صارت ضوء القمر، وذهب أبو موسى إلى أن المشبه هنا في هذا البيت جاء مركباً، في حين جاء المشبه به مفردا، وعدَّ ذلك من دقيق التشبيه ونادره؛ لأن الأصل أن يكون المشبه مفرداً، والمشبه به مركباً؛ لأن المشبه به يورد تفاصيلاً للمشبه، يكون فيها مركباً، لكنه هنا جاء عكس ذلك، فأصبح المشبه به تركيزاً غريباً لأحوال المشبه المركب[٢].

ومن أبيات أبي تمام في الوصف قوله في وصف بلاغة محمد بن عبدالملك الزيات قائلا [٣]:

---

(١) شرح ديوان أبي تمام ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٩١ .
(٢) التصوير البياني، مرجع سابق ، ص١٠٩-١١٠.
(٣) شرح ديوان أبي تمام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٩٧-٣٩٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فِي نِظَامٍ مِنَ البَلاغَةِ مَا شكّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَـامٌ فَرِيـدْ
وَبَدِيْعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاحِكُ فِي رَوْنَق الرَّبِيْعِ الجَدِيدْ

وهو هنا قد شبه بلاغة محمد الزيات بالزهر الذي يضحك فرحا بقدوم الربيع وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ولا غرابة فقد كان أبو تمام عالما بمقاييس البلاغة ومتمكنا من فهمها تمكنا لم يكن لشاعر قبله أوبعده.(١) ويمتاز أبو تمام أكثر ما يمتاز بالعمق الذهني، فكانت الفلسفة حاضرة في شعره، من خلال استقصاءه معانيه، وإغماضه لها؛ نتيجة الإغراق في توليدها، والبحث عن مشاكلها، وضريبها، بل والتأليف بينها بعلاقات لم تكن مطروقة من قبل.(٢)

ويخلص الباحث إلى أنه قد برع شعراء العصر العباسي فجاؤوا بتشبيهات غريبة، وطريفة، عرفوا بها عن غيرهم من الشعراء، وقد ارتكزوا فيها على توظيف الحواس بمختلف أنواعها: الذوقية، والمرئية، والسمعية وغيرها، وقد اتسمت تشبيهاتهم بالثراء، والرقة، وأن:(الهيئة واللون والحركة تعانقت وتداخلت في صورة مركبة؛ لتعطي دلالات تجمع بين الوضوح والإيحاء، وهذه العناصر كما مزجها الشاعر واختار خطوط ألوانها وشيات حواشيها، تدل على فرط شاعرية مرهفة الحس، بارعة في رسم الصورة بالكلمات؛ لتنافس بإبداعها الفني ليفة الرسام، وإزميل النحات، وهكذا فالنقاد على حق عندما يقررون أن الأدب يلتقي مع جميع الفنون الأخرى من ناحية العناصر التي تؤلفها،ولكنه يمتاز عليها بميزة التعبير بالكلمة)(٣).

---

(١) الصورة البلاغية في شعر أبي تمام ، الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الشعلان ، مجلة جامعة الإمام ، العدد الأول ، ١٤٠٩هـ ، ص٢٢٧ .
(٢) الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، الدكتور محمد أبوالأنوار ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص٢٩٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص٣٨٨ .

المبحث الثالث : التشبيه المتعدد

لقد أولع ابن المعتز بحب النرجس، ووصفه في أكثر من موضع، وفي كل موضع يأتي به بصورة جديدة تعكس مزاج من تربى في القصور، ونشأ وهو يرى الدرّ والجوهر، ولا غرو فإنه قد طغت على تشبيهاته الصبغة الحسية، التي من خلالها استطاع أن يحشد الألوان فيها، ويخالف أشكالها، وأوضاعها، بطريقة توحي بأنه قد عايش أفكاره، دون مشاعره، وقد تفوق في ذلك على مهارة الرسَّامين، الذين يبدعون في توظيف ألوانهم في تصويراتهم(١).

ومن ذلك مثلا ما نجده في قوله (٢):

عُيُــوْنٌ إِذَا عَايَنْتَهَــا فَكَأَنَّمَــا مَدَامِعَهَا مِنْ فَوْق أَجْفَانِهَــا دُرُّ

مَحَاجِرُهَا بِيْضٌ وَأَحْدَاقُهَا صُفْرُ وَأَجْسَامُهَا خُضْرٌ وَأَنْفَاسُهَا عِطْرُ

فكأنه حين أراد أن يصف عيون النرجسة ذهب ليفصل في أجزائها، مشبِّهاً لكل جزء بمشبه به يتوافق معه، من حيث اللون، أو الرائحة، فهو هنا يشبه مدامع هذه النرجسة بالدرّ، ثم يصف محاجرها بالبياض، وأحداقها تشبه الذهب في صفاره، وأجسامها خضر، ورائحتها زكية كرائحة العطر.(٣)

ومن ذلك أيضا ما نجده في قوله(٤):

وَإِذَا بَدَتْ فِي خُضْرَةٍ فِي صُفْرَةٍ فَكَأَنَّهَا لِلْحُسْنِ بَاقَةُ نَــرْجِسٍ

وهو هنا قد خالف المعتاد، فجاء بأكثر من مشبَّه لمشبه به واحد، حيث شبَّه خضرة الموصوف وصفرته بباقة النرجس من حيث الحسن والجمال. ولا غرابة

---

(١) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص٢٧٦ .
(٢) شعر ابن المعتز ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٨٨ .
(٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص٧٧٢ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣٢٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فقد بلغ التشبيه على يديه مبلغا لم يبلغه عند شاعر قبله، ولا بعده، فقد موَّهَ بعض تشبيهاته بالذهب، وأضاء بعضها باللؤلؤ(١). ألا تجده يقول (٢):

وَكَأَنَّمَا النَّارِنْجُ فِـــي أَغْصَـــانِهِ مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ الذي لَمْ يُخْلَطِ
كُرَةٌ رَمَاهَا الصَّوْلَجَانُ إِلَى الهَوَا فَتَعَلَّقَتْ فِي جَـــوِّهِ لَـــمْ تَسْـــقُطِ

حيث يشبِّه النارنج والذي هو نوع من أنواع الليمون يأتي صـــغيراً بالـــذهب الخالص، الذي لم يشوبه شائب، ولم يخالطـــه شـــيء.ثم هـــو يشـــبِّهه بـــالكرة، ويسترسل مفصِّلا حال المشبه به، فيصف هذه الكرة ذاكراً بأنها كرة من الـــذهب، رماها الصولجان، أي: صائغ الذهب في الجو، ثم تعلقت بـــين الســـماء والأرض، ولم تسقط، وهو في ذلك شبه النارنج بالذهب، من حيث اللون، وبالكرة من حيث الشكل، وهو من التشبيه الظريف .

وفي قول البحتري واصفاً رياضاً (٣):

فَكَأَنَّ الأَشْجَارَ تَعْلُوْ رُبَاهَا بِنَثِيْرِ اليَاقُوْتِ وَالمَرْجَانِ

نجد أنه قد شبه أشجار هذه الرياض المنتشرة في كـــل أجزاءهـــا باليـــاقوت والمرجان وهما من الأحجار الكريمة التي كانت لها قيمتها في العصر العباسي.

وكذلك في قوله (٤):

وَكَأَنَّ الصَّبَا تَرَدَّدُ فِيْهَا بِنَسِيْمِ الكَافُوْرِ وَالزَّعْفَرَانِ

نجد أنه قد شبه نسيم هذه الرياض برائحة الكافور والزعفران لما يحملانـــه من روائح زكية

(١) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، مرجع سابق ، ص٢٧٨ .
(٢) ديوان ابن المعتز ، مطبعة الإقبال ، ص٣٢١ .
(٣) ديوان البحتري ، ج٤ ، تحقيق : الصيرفي ، ص٢١٩٨.
(٤) المرجع السابق ، ص٢١٩٨ .

وفي قول البحتري [١]:

فَرَفَعْتَ بُنْيَانَاً كَأَنَّ مَنَارَهُ أَعْلامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقُ خَيْبَرِ

نجده يشبه منار البنيان بأعلام رضوى وشواهق خيبر. وفي قوله [٢]:

أَحْسِنْ بِدِجْلَةَ مَنْظَرَاً وَمُخَيَّمَاً وَالغَرْدُ فِي أَكْتَافِ دِجْلَةَ مَنْزِلا

تَبْيَضُّ نَقْبَتُهُ وَيَسْطَعُ نُــوْرُهُ حَتّى تَكَلُّ العَيْنُ فِيْهِ وَتَــنْكِلا

كَالكَوْكَبِ الدُّرِّي أَخْلَى ضَوْءَه حَلَكُ الدُّجَى حَتَّى تَأَلَّقَ وَانْجَلَى

نجد أنه يشبه منظر دجلة ومخيمه والغرد في أكتافه بالكوكب الــدري، لكنــه يفصل في ذكر المشبه بما يوحي إلى وجه الشبه بينه وبين المشبه بــه، وذلــك بقوله:" تبيض نقبته، ويسطع نوره"، ثم بعد ذلك جاء بذكر المشــبه بــه، وهــو الكوكب الدري، ثم أخذ يفصل في ذكر المشبه به، فيقول بأنه أزاح ضوءه دخــول الليل عليه، ثم بدا بتألقه ولمعانه جميل المظهر حسن المنظر.

وفي قول ابن المعتز [٣]:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفَتَّحُ نُوْرٌ أَوْ لِجَامٌ مُفَضَّضُ

نجد أنه يشبه الثريا بالعنقود، ثم يفصل القول؛ لتوضيح المشبه باعتباره الأنجم بذاتها، وأشكالها، وألوانها، والشاعر هنا قد دقق النظر في جميع أجزاء المشبه، مفصلا فيه جزءا جزءا، ثم شبه الهيئة الحاصلة من هذه الأشياء مجتمعة، بهيئة أخرى شبيهة بها، وهي هيئة العنقود المنور من الملاحية، وقد فصــل الشــاعر أيضا في ذكر المشبه به، من حيث شكل استدارة النجم، وحجمه، ومن حيث مقدار ما هي عليه من البعد والقرب، ويشير الجرجاني في ثنايا شــرحه لهــذا البيــت قائلا:(وأن هذه الخصل لا هي مجتمعة اجتماع النظام والتلاصق، ولا هي شــديدة

(١) ديوان البحتري ، ج٢ ، ص١٠٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٦٥٢ .
(٣) شعر ابن المعتز ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٦٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الافتراق، بل لها مقادير في التقارب والتباعد، في نسبة قريبة مما تجده في رأي العين بين تلك الأنجم)[١]. وكذلك الأمر بالنسبة للمشبه به الثاني، وهو اللجام المفضض، وما اختص فيه من هيئة وقوع قطع وأطراف ذلك اللجام، وما بينها من علاقة اتصال وانفصال، وما يكون عليه شكل ذلك اللجام.ويرى الجرجاني بأن اعتبار التفصيل في التشبيه أعجب تفصيل فيه.[٢] وحين نتتبع شعر ابن الرومي نجد أنه قد كان متميزاً في تشبيهاته، يفيض عليها من عاطفته المرهفة، ويلبسها من لباس حياته الناعمة، فقد كان يمزج في تشبيهاته بين كل ما هو محسوس، وما هو معنوي؛ لينقل ما يراه في موصوفه بطريقة يسهل فيها على المتلقي أن يراه، كما هو يراه . ولا غرو، فهو شاعر متمكن، تجد في تصويره سمة قلت أن تجدها في شاعر، وهي الجمع ما بين عناصر تكوين الصورة، من شكل، ولون، وحركة، وغيرها، وكأنه رسام ماهر حين يريد أن يرسم يبسط أمامه لوحته، ثم يحضر أدواته، ويستحضر خياله؛ ليبدع فيما أراد الإبداع فيه[٣] وعلى الرغم من صعوبة تصوير الحركة إلا أننا نجدها عند ابن الرومي قد بلغت مبلغاً فاق فيه غيره، حيث برع في تصويرها تصويراً دقيقاً، ينم عن مقدرة خيالية عالية، ومن ذلك ما نجده في قوله واصفاً الكتان وهو في الحقل [٤]:

وَجَلَسَ مِنَ الكِتّانِ أَخْضَرَ نَاعِمٍ تُوَسِّنُه دَانِي الرَّبَابِ مَطِيْرُ

إِذَا دَرَجَتْ فِيْهِ الشَّمَالُ تَتَابَعَتْ ذَوَائِبُهُ حَتَّى يُقَالَ غَدِيْرُ

وهنا نجد أن ابن الرومي يشبه حركة الكتان ــ وهو في حقله وقد جرت عليه الريح فتتابعت ذوائبه ــ بالغدير الذي صافحته الصبا، ويميز هذا التشبيه الرائع دقة تشبيهه، وصدق تمثيله لحركة الكتان بحركة الغدير، ويضفي على التشبيه

(١) أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص١٦٧-١٦٨ .
(٢) أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص١٦٨ .
(٣) ابن الرومي حياته من شعره ، مرجع سابق ، ص٢٤٣.
(٤) ديوان ابن الرومي ، ج٣ ، ص٩٨٣ .

جمالا من خلال توظيفه للون، واختيار الأخضر من الألوان؛ لتحقيق التوافق في التصوير، وكذلك استحضار النعومة لحاسة اللمس، وتوضيح علاقة ارتباطها ما بين المشبه والمشبه به.[١] وهذا التشبيه من التشبيهات الدقيقة التي تنم عن ذوق عالٍ، وإحساس مرهف، وثقافة واسعة، وذهن صافٍ، ونظرة فاحصة دقيقة، ولاسيما أنها كانت ترتكز على تصوير الحركة، والتي هي من أصعب ما يواجه المصورين الشعراء.ويشير العقاد إلى ذلك في كتابه ابن الرومي حياته من شعره قائلا:(إنما التصوير لون وشكل ومعنى وحركة، وقد تكون الحركة أصعب ما فيه؛ لأن تمثيلها يتوقف على ملكة الناظر، ولا يتوقف على ما يراه بعينه، ويدركه بظاهر حسه، ولكن تمثيل هذه الحركة المستصعبة كان أسهل شيء على ابن الرومي، وأطوعه، وأجراه، مع ما يريد من جد، أو هزل، وحزن، أو سرور)[٢]. وقد جاء وصفه لحركة الكتان في حقله تمثيلا صادقا للحركة في الجملة والتفصيل، وليس أصدق من وصف ذوائب الكتان بالغدير وهي تتلاحق مع الريح، ولاسيما أن تمم تصوير الحركة هنا بتصويره اللون الأخضر، والملمس الناعم، والغيم الذي يسري على جلس الكتان مع الليل في وقت الوسن، ويسف بحواشيه المطيرة إلى الأرض البليل، فالصورة كاملة، لا تنقص منها سمة من سمات المكان والزمان والحركة، ولاحظ من حظوظ العيون واللمس والخيال[٣]. وبحق فإنها صورة رائعة، قائمة على الحركة، وقد لا يكون بإمكان أي شاعر أن يقف عندها بمثل ما وقف عندها ذلك الموهوب.

ونخلص إلى أن شعراء العصر العباسي قد اعتمدوا على التشبيه بشكل كبير في بناء تصويراتهم الفنية، والتعبير عن معانيهم، حيث يعد ظاهرة في الكشف عن العلاقات الكامنة بين الأشياء.

---

(١) التصوير البياني ، مرجع سابق ، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) ابن الرومي حياته من شعره ، مرجع سابق ، ص٢٣٩.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٤٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المراجع :

(١) الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ج٢.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف ، القاهرة .

(٣) البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، الدكتور مصطفى الصاوي ، منشأة المعارف ،
الأسكندرية، ١٩٨٥م .

(٤) دروس في البلاغة العربية ، الزناد الأزهر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م .

(٥) ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محيي الدين الخياط ، مطبعة جريدة الإقبال ، بيروت .

(٦) ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، الدكتور سعد شلبي، دار الفكر العربي .

(٧) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بيك ، دار الآفاق ، بيروت ، ط٢ .

(٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق: البجاوي وأبو الفضل .

(٩) التصوير البياني ، الدكتور محمد محمد أبوموسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٧ ، ٢٠٠٩م .

(١٠) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٨ ، ١٩٩٥م .

(١١) ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج،ج٢،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٣، ٢٠٠٢م .

(١٢) التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ، محمد عبدالمنعم خفاجي ،

المطبعة الفاروقية الحديثة ، مصر ، ط١، ١٩٤٨م .
(١٣) كتاب شعر ابن المعتز ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق: الدكتور يونس السامرائي ، دار الحرية ، بغداد ، ج١ ، ١٩٧٨م .
(١٤) التبريزي ، شرح ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٢م ، ج١.
(١٥) ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محمد بديع ، دار المعارف ، ج٢ ، ١٩٧٨م .
(١٦) ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره ، الدكتور محمد عبد القادر أشقر ، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي ، ط١، ٢٠٠٦م .
(١٧) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، الدكتور علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية ، مصر ، ١٩٩٦م .
(١٨) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ، ايليا سليم الحاوي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٩م .
(١٩) ابن المعتز والقمر ، عبدالعزيز سيد الأهل ، صحيفة دار العلوم ، مصر ، العددان الأول والثاني ، سنة ١٩٤٤م .
(٢٠) ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م ،ج٣.
(٢١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، ج٢، ١٩٨٦م .
(٢٢) الفن ومذاهبه ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،ط١٠ ، ١٩٦٠م .
(٢٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٩٩١م .

(٢٤) الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز ، الدكتور حمدان عطية الزهراني ، مجلة جامعة الإمام ، العدد٣٧ ، سنة ١٤٢٣هـ .

(٢٥) ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره ، الدكتور محمد عبد القادر أشقر ، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي ، ط١، ٢٠٠٦م .

(٢٦) ابن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، ط٧ ،١٩٦٨م.

(٢٧) الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز ، الدكتور حمدان عطية الزهراني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٣ه ، العدد٣٧ .

(٢٨) الصورة البلاغية في شعر أبي تمام ، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان ، مجلة جامعة الإمام ، العدد الأول ، ١٤٠٩هـ .

(٢٩) الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية ، الدكتور محمد أبوالأنوار ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٧٣٣
٢.	Abstract	٧٣٤
٣.	المقدمة	٧٣٥
٤.	المبحث الأول: التشبيه المفرد	٧٣٧
٥.	المبحث الثاني: التشبيه المركب	٧٤٨
٦.	المبحث الثالث : التشبيه المتعدد	٧٦٣
٧.	المراجع :	٧٦٨
٨.	فهرس الموضوعات	٧٧١